

أحمد شوقي بين الانتصار والاختلاف

*Ahmad Shoqi Among the Deniers and Accepters*شمس الحسين ظهيرⁱ الدكتور محمد نعيمⁱⁱ**Abstract**

The literary status of Ahmad Shoqi is always being remained controverted due to his clear relations with Khadiwians (the rulers of Egypt) and no attention towards the Egyptian nation, although these conditions were running on till his executions in 1914 to Spain with the beginning of First World War. And then his status amongst the poets as the king of them was accepted throughout the Arab countries, he remained on that status till day. The article discusses the opinion of both the groups; the deniers and the accepters and the conflict between the both opinions.

ظلت آراء العرب تختلف حول أحمد شوقي في تعيين منزلته؛ فمنهم من ذهب مذهب المنتصر، وقدم شواهد في تأييد رأيه، وحزب آخر اختلف معه في كونه رائد شعب الشعراء وأتمه بالتهمة المختلفة وأتى ببراهينه القاطعة لتبرهن بها مقاله فيه. وأشكل الحياد بين الحزبين في أي له حق ومؤيد؟ وأيها مهزوم؟ ولو مكث شوقي بين الحالتين فما هي صورة التطبيق بينهما؟ توضيحاً للاكتشاف أذكر في الفقرات الآتية أقوال من عرفه من قريب أو جاوره بالجانب، ولمن قرأه وعثر على معانيبه.

شوقي ومنظور المنتصرين له منه

من عادات الشعراء أنهم يقيمون حفلات بمناسبة عديدة؛ عندما يولد لشاعر ولد، أو يحصل أحد من جماعتهم على جائزة دولية، أو يفوت منهم أحد زملائهم، أو تحدث كارثة معتبرة. فعندما رجع الشاعر من المنفى بعد انتهاء الحرب

ⁱ الباحث على مستوى الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة إسلامية كالج، بشاور

ⁱⁱ استاذ المساعد، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة عبدالولي خان، مردان

العالمية الأولى والتصق بالشعب المصري وشاركهم في أمور حياتهم وأصبح شعره ينفح عنهم كما قال عن نفسه:

كان شعري الغناء في فرح الشرق، وكان العزاء في أحزانه¹

فسر الأمر شعب العرب، وأقيم الحفل التكريمي سنة 1927م، واشتركت فيها الأمة العربية تقديراً لعبقريته واجتهاده واعترافاً بمكانته، ووضعوا تاج إمرة الشعر العربي على مفرق رأسه، وأعلن تلك البيعة بيد شاعر النيل حافظ إبراهيم² قائلاً:

أمير القوافي قد أتيت مبيعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي³

وإصدار هذا المقال من مثل الحافظ إبراهيم؛ شاعر الشعب المصري لا يكون إلا بعد عرفانه وعرفان من وافقته. بمثالة شوقي في انعقاد الحفل. ولو كانت البيعة صادرة من رأيه فحسب لما كانت الأمة تصاحبه فيه، ولما كانت الأمة تقول بالقول عليه. لكن تأييدهم إياه بلسان الحال تدلّ على أن له السبق من بين شعراء عصره، وكلهم يعترفون بتلك السبق وبعد الوفاة رأى فيه كل قائل رأيه حسب ما رآه أو قرأ عنه، لأن كل واحد من المشيعين له قد عدّه بمثالة الرائد للشعر العربي الحديث كما حافظت الصحف والمجلات نعي شوقي وكتبت عنه؛ فقال عنه الأستاذ محمد توفيق دياب⁴: "لقد مات أمير الشعراء غير منازع..... فقد كان شوقي شاعر العربية وشاعر الإسلام، وكان أثمن درة في تاج الأدب"⁵.

وهي حالة غير واحدة من افتتاحيات المجلات والصحف بعد وفاته، إذ رزء وفاته ما فجعت مصر فقط بل أهل الناطقين بالضاد و بل الأمة الإسلامية كلها تفجعت به لأنه دافع عنهم حياً وترك بعده ما سيدافع عنها بعد مماته، وعن تلعب شوقي وممارسته في فنون الشعر كلها يقول عبد القادر حمزة: "..... وبهذا ملأ شوقي كل جوانب الأدب، ووضع على رأسه تاجاً لم يضعه شاعر عربي قبله، وحق لمصر أن تفخر بأن ابنها هو الذي كسب هذا التاج"⁶.

وكتب الكاتب المجيد شفيق جبيري بك عن شوقي في جريدة الأيام الدمشقية

بعنوان: أحمد شوقي - شاعر لم يظهر مثله في ألف سنة⁷.

ولم تكن لوعه مشيعيه ملتبهة حتى بعد اتصال وفاته فقط، بل ذكرها رجال الأدب بعد مدة طويلة مرت عليه. فأقام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مهرجاناً له اعترافاً بمكانته ومذاكراً لذكرياته الخالدة بقصر النيل في المدة من 15 إلى 21 أكتوبر عام 1958م، واستدعى وفود الدول العربية، فألقى فيه كل مندوب كلماته وقصائده؛ فهذا السيد أحمد المليح⁸ يقول بعد الكلام الطويل عن الشوقي وخصائصه:

"ولقد كان شاعرنا العظيم طيلة هذه الفترة لسان العروبة الناطق؛ فغنى بأمجاد العروبة، وأيقظ الضمائر، وثبّ العقول إلى التحرر والانعقاد وإلى بناء مستقل أفضل للأمة العربية"⁹.

وهذا جمال الآلوسي¹⁰ يقول كما يرى أمير القوافي:

"..... لمس شوقي مصائب الأمة العربية، فتجاوبت جماهير العرب في مختلف أقطارهم لشعره وافتتنوا به لأنهم يستقبلون أنفسهم وعالمهم في هذا الشعر"¹¹.
ويقول السيد سعيد فهيم¹² فيه:

"أجل، لقد كان شعر شوقي ديوان العرب؛ في قصائده وأبياته تجلت لغة العرب الفصحى قواماً وعروبتهم ونظاماً قوميتهم وأساساً وحدتهم، فهي التي تجمع بين بلادهم وإن اختلفت إلى حين: ويجمعنا — إذا اختلفت بلاد— بيانٌ غير مختلفٍ ونطق"¹³.

وقال عبدالقادر أوكير¹⁴ معترفاً بمكانة شوقي الأدبية:

"..... ولم يترك من أمجاد مصر والعروبة والإسلام شيئاً إلا وتغنّى

به،

وسجّله لنا ولأحفادنا من أجيال المستقبل، وهو الشاعر العظيم الذي فاخر

وطاول وصال عمالقة الشعر من أمثال المتنبي¹⁵ والبحتري¹⁶ وأي

تمام"¹⁷،¹⁸.

وقد أنشد الشعراء بنفس المهرجان قصائدهم فيه، كما أكثر الناثرون عن شخصيته البارزة وأدبه المتلألأ المتجدد.

قال محمود عماد¹⁹ في قصيدته التي قالها في ذكره:

لم يكن شوقي لمصرَ وحدها وإن اختار بها شوقي المقرّاً

كنت فيه مرتلاً باسم قومي
بيعة الشعر، بيعة
الأحلاف

ثم يطيل فيه الذكر حتى يأتي بقوله:

ثم ولي يوم، وأقبل
يوم مظلم

الذجن، دامع الأطراف

كان يوماً من الزمان عبوساً
بالرفاة السوافي²⁵ يوم ودّعت

في ضوء ما قال الأديباء والشعراء عن أدب شوقي، نتوصل أن كل هؤلاء قد استسلموا بمكانته السامية التي لا نزاع فيه عندهم؛ وهي مكانة لما يتتوَّج أحد بمثلها، ولم يختلف رأي أحد فيه بإمارة شعراء العرب كلهم. والآن نذكر مقالات من قدح فيه وانتقده وعلل عللاً فاشلةً أو فائزةً.

من قدح في شخصية شوقي

قد انتقد النقاد العرب شوقياً لأسباب تسلمها العقل وتستيقن بها صاحب لبّ، من هؤلاء النقاد شوقي ضيف حيث يبحث عن شخصيته بين مدتين؛ 1883م إلى 1914م فيقول:

".....فقد أصبح شوقي من الطيور الداجنة الأليفة التي لا تستطيع ارتفاعاً ولا تحليقاً في الجو، والتي تنتظر الحبّ يلقي إليها من صاحبها، فتعيش به هانئة راضية"²⁶.

يظهر لنا من تعليق شوقي ضيف عليه أنه يتهمه بمدح القصر، ويُعيبه بلزوم القصر الملكي وأمثال هذا اللزوم والالتصاق ينقص من مرتبة أولي العزم من الناس. وبعد أن تكلم فيه شوقي ضيف أتى بشواهد تؤيد رده وتعين مقاله؛ مثل: تساهله في مراثية مصطفى كامل²⁷ مع الصداقة الحميمة بين كل من شوقي ومصطفى كامل، ومع ذلك لا يبالي أمير الشعراء بصداقته، وتناسى الأخوة بينه وبين المصطفى، عندما هصر القدر غصن حياته حمّله أحمد شوقي لم يرثه إلا بعد مدة طويلة إذ القصر

كان ساخطاً على المصطفى فحذراً من غضب الملك على الشاعر تجنّب عن الرثاء، ويبيد آخر هو يراعى شعبه المصريين بإلقاء القدارة في أعينهم فقال وهو يرثي المصطفى:

المشـرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مآتم والداي

ثم بالسرعة إبان الرثاء يعود إلى فلسفة الحياة والموت، ويقول:

دَقَاتُ قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني²⁸

تعليقاً بهذه الرثاء واستدلالاً بضعف المضمون فيها، قد استنتج شوقي ضيف

ما راج له فيقول:

"لم يكن شوقي يعيش حينئذٍ حراً لنفسه، وإنما كان يعيش عبداً لأمره، وربما كان من أبلغ الدلالة على ذلك موقفه من صديقه مصطفى كامل حين توفي، فإنه لم يسارع إلى رثائه، لأن مصطفى كامل كان قد قطع علاقته بعباس حين وجده يتبع سياسة وفاق مع السير غورست معتمد إنكلترا، ووجه إليه على صفحات الكتب كتاباً مفتوحاً..... كل ذلك لأن شوقي كان يخاف الخديوي، ويخشى سخطه، وهو في الوقت نفسه يريد أن يرضى الجمهور وأن يرضى الشعب الذي يقرؤه، فيحاوره ويداوره، وتخرج القصيدة على هذه الشاكلة من الحديث في فلسفة الحياة والموت، وإن تركهما في الأخلاق وما يتصل بالأخلاق. أما سيرة مصطفى كامل، وأما خدماته الوطنية، وأما تعلق المصريين به، فكل ذلك يوضع عليه ستار، ويغشاها ضباب."²⁹

نشاهد في ضوء التعليقات المذكورة عن أحمد شوقي أنه كان من الشعراء

الذين يتعلقون بالقصور ما دام في البلاط، وهياً له القصر ما احتاج إليه من الترف والحر واللدّة وأسباب السياحة والمجون.³⁰

واستنكار شوقي ضيف على شوقي الشاعر ليس بتحيز؛ ينتصره في رأيه عن

شوقي أدباء آخرون، هذا جمال الدين الرمادي، يتحدث عن الشاعر الأمير ويعيبه بنفس العيب:

"والواقع أنه (يريد به أمير القوافي) مدين في مراحل عدة من حياته إلى القصر. ولم يكن كحافظ إبراهيم شاعر الشعب الذي ولد بين الفاقة والحرمان، وقاسى شظف الحياة ورقة الأحوال. وهذا هو العيب الذي ينسبه بعض النقاد إلى شعره. فبعضه شعر رجل مترفع عن الشعب، يعيش في برجه العاجي. فإذا تناول آمال الجماهير،

فإنما يتناولها مسأيرة لروح العصر، ومجارة للشعور العام، حتى لا تقال عنه الأقاويل، وتظن به الظنون³¹.

وكيف لا يكافح عن القصر إذ القصر قد وقر له كل ما يحتاج إليه الرجال وتتوق إليه النفوس من الغرف والخدمة والخمر، وأما المصطفى فما بينهما إلا صداقة رجل مخلص بدون استطاعة لتوفيره ملذات العيش مثل ما كان في الجزيرة لدى شوقي، حيث يقول عنه شوقي ضيف قائلاً:

"وحدثني بعض من كانوا يزورون أبناءه في كرمة الجزيرة أنه كان بها غرف استقبال مختلفة، وكان لكل غرفة زوارها، وكلهم تقدم له كؤوس الخمر³²".

قولاً بكل تلك المعاييب في شخصية شوقي وأدبه، يلزم ذكر ما استوصله بهذا المقام: إمارة الشعر العربي لا لعصره فحسب بل لعشرة قرون قبله أيضاً، وتلك المساوي له عدّها النقاد حينما كان مقتصرًا في داخل القصر، ولما نفي إلى إسبانيا ببدء الحرب العالمية الأولى، ف شعر شوقي بما كانت تناسب لدفاع عن شعبه وأبطال الشعب لا عن القصر ورجاله فقط. والحال الذي ذكرته تناوله شوقي ضيف أيضاً، وصار فيه مثل الحياض الذي يضع رجلاً منزلة لائقة له لا يبالغ ولا ينقص. فكيف نحسب التحكم على الدكتور شوقي ضيف في التعليق بشوقي الشاعر، إذ هو كأديب لا يعاب بلام القارئ والسامع مراعاةً لآلام الشعب المصري وآمالهم. واستقصى بما غناه شوقي من مقاسات شعبه ووطنه لما رجع من المنفى لمدة خمس سنوات. واحتفظ الكاتب: شوقي ضيف بما كان أحمد شوقي يشارك الشعب وما يتصل بهم؛ آمالهم، وأحلامهم، وآلامهم، وثوراتهم، وجهودهم فيها. ثم ما لبث أن جاء بتناول ما رجع إليه أمير القوافي، وبيّن ما قويت علاقاته به؛ عن مشاركته قومه في الأمور الشعبية، فقال:

"وإذن فمن الوجهة العامة احتفظ شوقي بعد رجوعه من المنفى بخاصته الفنية المميزة له، وهي أن يكون شاعرًا غيره. كان شاعر عباس، فأصبح شاعر الشعب المصري، بل شاعر الشعوب العربية كلها، ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات³³".

ملخص القول أن شخصية شوقي لها عيشان؛ أحدهما داخل القصر و ثانيهما يشرع بعد نفيه إلى الأندلس. في العيش الأول التزم بالقصر وكان ذلك في زمان وفي العيش الثاني فرس الأمر بالكفاح عن شعبه المصري، فتحول إليهم ثم نال ما نال في

تفوقه بمعاصريه كلهم. وفي كلتا الحالتين بقي له تقديرهم واعترافهم بمكانته الرفيعة إما من المملكة أو من الناس³⁴. وتلقى من محبيه صلةً وثيقةً بدلاً لإنفاقه حياته في قريض الشعر العربي ما دام بقيده الحياة وبعد انقضاى العرى بيد موته.

الهوامش

1 الشوقيات 1: 354

2 محمد حافظ بن إبراهيم فهمي، المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم (1287 - 1351هـ): شاعر مصر القومي، ومدون أحداثها نيفا ورابع قرن. ولد في ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروط. وتوفي أبوه بعد عامين من ولادته. ثم ماتت أمه بعد قليل، وقد جاءت به إلى القاهرة، فنشأ يتيما. ونظم الشعر في أثناء الدراسة. ولما شب أتلف شعر الحدائة جميعا. وفي شعره إبداع في الصوغ امتاز به عن أكثر أقرانه. توفي بالقاهرة. له ديوان شعر. (الأعلام 6: 76)

3 مهرجان أحمد شوقي: 77

4 محمد توفيق بن موسى دياب (1888م - 1967 م): صحفي مصري من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر. ولد في سهوت البرك، من قرى منيا القمح، وتلقى دراسته الثانوية في القاهرة والإسكندرية، ورحل إلى لندن فأقام في جامعتها خمس سنوات وعاد سنة 1916 فألقى محاضرات في فن الخطابة، وكان خطيبا مفوها من نشأته. وأوذي لحرية رأيه (سنة 23 م) فسجن تسعة أشهر. توفي بالقاهرة. (الأعلام 6: 67)

5 اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء، أحمد عبد الوهّاب: 147

6 المصدر السابق: 149

7 نفس المرجع: 162

8 مندوب المملكة المغربية في مهرجان الشاعر عام 1958م

9 مهرجان أحمد شوقي: 39

10 مندوب العراق بالمهرجان

11 المهرجان: 76

12 مندوب الجامعة العربية بالمهرجان

13 المهرجان: 53

14 مندوب السودان بالمهرجان

15 أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد، الجعفي، الكندي، الكوفي، المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. وإنما قيل له المتنبي لأنه ادّعى النبوة في بادية السماوة، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية، فأسرده، وتفرق أصحابه، وحبسه طويلاً، ثم استتابه وأطلقه، وقيل غير ذلك، وهذا أصح، وقيل: إنه قال: أنا أول من تنبأ بالشعر. قيل: قُتل في الليلتين بقتنا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلث مائة. (وفيات الأعيان 1: 120-125)

16 هو الوليد بن عبيد الله البحرري، الشاعر المشهور. ولد بمنج، وقيل بزردفنة وهي قرية من قرأها، ونشأ وتخرج بها، ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء؛ أولهم المتوكل على الله، وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء، وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ثم عاد إلى الشام. وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين. (انظر: وفيات الأعيان 6: 21-30)

17 هو: حبيب بن أوس، أبو تمام، الشاعر المشهور. وكان أوحده عصره في ديباجة لفظه وصناعة شعره، وحسن أسلوبه. وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره، قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد، وله كتاب الحماسة، وهو كتاب يدل على حسن اختياره. في تاريخي ولادته ووفاته بين المؤرخين. (انظر: وفيات الأعيان 2: 11-26---

الأغانى 16: 414-431)

18 المهرجان: 49؛ انظر أيضاً: حافظ وشوقي، طه حسين: 10

19 محمود بن محمد (1308 - 1385هـ): شاعر مجيد، مغمور من الكتاب. مصري، من أصل لبناني. ولد بقرية ميت الخولي بفار سكور ونشأ بها. بدأ يقول الشعر سنة 1907م، وطبع أول ديوان له سنة 1949م، ثم ديوانه الثاني 1961م، وصدر ديوانه الثالث بعد وفاته. وهو على الطبقة في الشعر، إلى جانب أسلوب في النقد الأدبي سلس عميق. (الأعلام 7: 187)

20 المهرجان: 11

21 المصدر نفسه: 12

22 مندوب المملكة المتوكّلة اليمنية بالمهرجان

23 المهرجان: 21

24 فؤاد بن إسماعيل شاعر (1323 - 1392هـ): صحفي حجازي متأدب. له نظم كثير، فيه شعر. مولده ووفاته بمكة. تعلم بها وبالقاهرة. وتوفي بمكة. له عدة كتب مطبوعة، منها: صور الحياة، وغزل الشعراء بين الحقيقة والخيال، وأحاديث الربيع وغيرها. (الأعلام 5: 159)

25 المهرجان: 25-26

26 انظر: شوقي، شاعر العصر الحديث: 17

27 مصطفى كامل باشا (1291 - 1326هـ): نابغة مصر في عصره، وأحد مؤسسي نهضتها الوطنية. مولده ووفاته في القاهرة. كان أبوه ضابطاً مهندساً، عني بتعليمه فأحرز شهادة الحقوق من جامعة تولوز بفرنسة قبل بلوغه العشرين. وتوفي شاباً، فرثاه شعراء مصر وكتّابها. (الأعلام 7: 238)

28 ديوانه 1: 528، كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، لاط، 2011م

29 أنظر: شوقي؛ شاعر العصر الحديث: 22-23. ونفس الشيء قد انتقده طه حسين في كتابه: حافظ وشوقي. انظر: 26

30 أنظر للتفصيل: شوقي شاعر العصر الحديث: 16-41

31 من أعلام الأدب المعاصر، جمال الرمادي: 201

32 أنظر للتفصيل: المصدر نفسه: 39-40

33 شوقي؛ شاعر العصر الحديث: 41؛ انظر أيضاً: حافظ وشوقي، د. طه حسين: 175 - 224؛

اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء: 162

34 أنظر للتفصيل: حافظ وشوقي: 175-177